



الفن كدلالة على بداية التفكير لدى الجنس البشري

د. وليد أحمد السيد *

يشتمل علم تاريخ الفن بمجالين هما دراسة الأعمال الفنية ذاتها ودراسة الأفكار الفنية، وهو بذلك يختلف عن دراسة تاريخ الأدب أو تاريخ الموسيقى مثلاً، فالقطوعة الموسيقية الجميلة أو الرواية الساحرة الرائعة تتعلق بالأحاسيس والروح لكنهما لا يتجسدان بشكل فيزيائي محسوس كما الفن التصويري أو التشكيلي، فالفن يشتمل بأعمال لها كينونة فيزيائية حسية قائمة متجسدة يمكن تلمسها ومشاهدتها وإحساسها أحياناً بحاسة سادسة تعلو فوق الحواس الخمس تتعاقب معها الروح فتستحسن العمل الفني وتقبله أو ترفضه، فالألوان الدافئة التي لم تجف بعد على قماش لوحة فنية ليس لها من وظيفة سوى تحريك المشاعر داخلنا، وتظل علينا الأعمال الفنية بصمت دامس لا يبيده إلا صيرير القلم الذي يخطه مؤرخو ودارسو الأعمال الفنية أثناء إنتاج نصوصهم في تحليل وقد هذا العمل الفني أو ذاك، لكن خبايا الأعمال الفنية تظل حبيسة القماش، تظل بدهاء على مطالعها متحدية ذكاء المشاهد الناقد والمتأمل، حيث تخفي بين ثنايا الألوان وبديابه مساحة من القماش ما يشهد لصاحبها الذي وراه الشرى بتيميز والإبداع وتقدير متأخرين كما درج العادة مع الفن والفنانين، وبذلك كان الفن وعلى العلوم مستوعوماً للاسوار الإنسانية والفترات التاريخية والإبداعات الفردية سواء بسواء، حيث تستحصي الأعمال الفنية - المحددة ضمن إطار خشبي وعلى قطعة قماش مشدودة - على فهم، وذوق، الكثير من مطالعها من عشاق أو من غير محبي الفن الإنساني بكافة مظاهره وأشكاله، ومن أعظم الأسرار التي جهد مؤرخو الفن في تتبعها بأثر رجعي كانت الشرارة التي وضعت في ذهن الإنسان لإنتاج الفن والتي يزعم الفلكورن والمؤرخون أنها كانت البداية الحقيقية لاطلاق شرارة التفكير عند الإنسان.

ولم يكن الفن، وبخاصة الفنون التطبيقية، وكمتميزت حضارية يومنا بمنزل عن العبدن الثقافي والاجتماعي بل استقوى لامحه الإنسانية وروابطه المنية وأسسها منها وكان انعكاساً واسقاطاً مباشراً لها بالإضافة إلى عوامل أخرى بيئية وجغرافية وسياسية شكلت أبرز موضوعاتها، ولذلك فإن الدراسات الموضوعية للتاريخ البشري تتشابه ضمن الجهود الواعية لاستخلاص ملاحج التاريخ الإنساني بالتعاون ما بين علوم تاريخ الفن والعلوم الاجتماعية ومنها الأنثروبولوجيا من أجل تكوين صور متكاملة للثقافة في هذه المجالات، فارتباطات السوسيوولوجيا والأنثروبولوجيا ظلت مهمة جداً في تتبع أوجه مهمة في التاريخ البشري عموماً وفي متعلقات قيام ونشوء الحضارات المختلفة عموماً، وترتبط هذه الدراسات في تتبع أبرز ملامح وخصائص الشعوب والثقافات البشرية، وتتبع نشوء العلم والفن والثقافة في الحضارة البشرية خصوصاً، ومن أبرز الذين بحثوا في الأنثروبولوجيا الفكر الفرنسي لودويغ فيلهلستورس الذي أجعل المثل عام من حياته كنموذجاً لهذه العلوم، وفي مجال السوسيوولوجيا هناك العديد من الباحثين المرموقين أمثال (Amos Rapoport) أو العلامة العربي ابن خلدون، وكانت الدراسات المختلفة سواء في الأنثروبولوجيا أو في السوسيوولوجيا من المجالات التي جهدت في إلقاء الضوء على متعلقات نشوء الحضارات والتجمعات، التي أهم النقاط التي بحث فيها علم الأنثروبولوجيا كانت المحصلة المنطقية التي بدأ الفيلسوف البشري فيها ينطلق من مرحلة «البدائية»، إلى المحصلة التفكيرية المنطقية، وما مهد لنشوء الفكر والحضارة، وهو ما عني بالإشارة إلى عهد برناتشو مفترقه تيليزيون (BBC) وما يدور في أوساط علماء تاريخ الفن بالتعاون مع علماء الأنثروبولوجيا، وكيف كان ذلك؟

في محاولة العلماء لتتبع بداية قدرة الإنسان على التفكير، نجح البحث أن يعودوا لتقصي حفرات الأثر التي يمكن أن تدل على الفكر الزمنية التي نقلت البشريته من مرحلة ما «نياندرتال» أو (Neanderthals) إلى انطلاقة البشرية الأولى في العقل البشري للفترة على التفكير والإبداع مما أسس للمدنية الحديثة التي نقلت البشرية إلى مستوى استغلال البيئة المحيطة بعملية واعية وذكية، وكان مجال البحث المنطقي الوحيد الذي يمكن أن يؤرخ بصيق لهذه الشرارة التي وضعت في العقل البشري في لحظة في التاريخ البشري السحيق هو الفن. وتؤرخ علوم الأنثروبولوجيا للفترة التي عاش فيها إنسان «نياندرتال»، في أوروبا وآسيا الغربية، في المساحة الممتدة من إسبانيا وحتى أوريغستان، في فترة تزامنت مع العصر الجليدي الذي ساد معظم أرجاء أوروبا وآسيا قبل 230 ألف سنة، وقد كشفت أحدث الدراسات عن آثار تدل على وجود هذا الإنسان في فلسطين ما يؤكد معانها هذا الإنسان للإنسان الحديث، ويعتقد العلماء بأن أجسامهم القميرة و الملتدة والقوية هي من أهم أسباب بقائهم في العصر الجليدي، وبمراجعة الأدوات المكتشفة معهم عرفوا بأنهم سيديون ماهررون ويتخذون على طرائدهم، حيث يصنعون العلماء بأنهم كانوا يصطادون على الجماعات وفرق مما أدى إلى مواجهة صاعب صيد الحيوانات المفترسة، وتشير علوم الأنثروبولوجيا التي أنه كانت لهذا الإنسان القدرة على الكلام ولكن يلاحظ علمه افتقاره لتربك الكلمات المعقدة أو تكون مفاهيم أكثر تعقيداً وكافاً وغيره فقد ظل بدأنا جيداً، وترجع الدراسات أن معدل حجم مخ النياندرتال كان أكبر من معدل حجم المخ للإنسان الحالي بنسبة 10 ٪ تقريباً، بيد أن علماء الأنثروبولوجيا ظلوا عاجزين عن تفسير سبب انقراض هذا النوع من البشر رغم وجود مجموعة فرضيات عديدة لاقتراحهم لا تعيننا في هذه المساحة.

روتردام - (العربي)

من عدنان حسين أحمد:

أعلن في 26 من شهر كانون الثاني (يناير) الجاري عن جوائز النمر للأفلام القصيرة التي اشتركت في مسابقة الدورة الثامنة والثلاثين للمهرجان روتردام السينمائي الدولي لعام 2009. وقد وُزعت الجوائز في حفل ختمه القاصون على المهرجان في صالة لانتران - فينستر بمدينة روتردام، وقد أسندت الجوائز إلى ثلاثة أفلام وهي «موسيقى ضرورية» للمخرجة البريطانية بياتريس جيبسون، و«ياس» للمخرج الروسيين غالينا مايزنيكوفا وسيرجي بروفوروف، و«برناديت» للمخرج البريطاني دنكان كامبل.

وقد اشتركت في المسابقة «27» فيلماً قصيراً يصل طولها إلى ستين دقيقة، وأبرز الأفلام المشاركة في هذه المسابقة هي «37» للمخرج

وفي إطار تضامير جهود وأبحاث علماء الأنثروبولوجيا والباحثين المختصين في علم تاريخ الفن البشري في إمامة الشام على علم تاريخ شرارة الفن في الدماغ البشري مما يعد بداية قيام الحضارة الإنسانية بفهمها النظري الجرد، فقد حامت الدراسات حول ملاحج هذه الفترة، التي عاشها إنسان «نياندرتال»، والتي تميزت بأنها كانت على حافة «صحراء قاحلة»، فنياً وحضارياً، في تاريخ الجنس البشري، وقد طاف العلماء في القارة الأفريقية للبحث عما يمكن أن يدل على شرارة البداية الفنية للجنس البشري من حفرات أو نقوشات تفرق في القدم لا بعد ما يمكن تسجيله، ولكن لم يكن هناك أي دليل؛ فانطلقوا إلى منطقة بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، ولم يكن هناك دليل أيضاً، وفي بحث يأس انتقل علماء الأنثروبولوجيا إلى أوروبا، وفي كهف بفرنسا عثروا على ضالته المنشورة، ففي أحد الكهوف وجدوا نقوشاً بدائية تعود لأكثر من 35 ألف سنة قبل الميلاد مما يؤرخ ما قبل أعرق الحضارات البشرية والتي لا يعود معظمها، كالف عونية أو ما بين النهرين أو الحضارة الهندية مثلاً، لأكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

أما قصة العثور على مجموعة كهوف (Lascaux) بفرنسا فقد تمت بمحض الصدفة، فقد عثر أربعة صبية على مجموعة من النقوش (سبتمبر) من العام 1940 في الغابة الواقعة في منطقة (Vezere Valley) بفرنسا حين اختلفت فحاسة الكلب الصغير الذي كان يرافقهم، ولدهشتهم وزعمهم الشديد من كيفية إخفاء عليهم هروا المنطقة التي سعوا صوتاً صاعقاً لنجاح كليهم ليجدوا حفرة صغيرة كانت بداية لنفق صغير، ويروي أحد الصبية المحلظة التاريخية التي وجدوا فيها بداية مدخل النفق يقول: «...، حفرة وجدنا حفرة ضيقة، حاولنا إزاحة بعض الصخور لتوسيعها، وبينتني كنت الأقوى كان على النخل لاسلق في الفراغ الضيق الممتد، كان الرب يسبحر علي، لأنك لا تدري ما يربض لك في كهف مظلم، لكن فضولي الشديد تغلب على ذكري الذي كان يتنبأني من الجهول داخل الحفرة المظلمة، كان قلبي الصغير ينبض بشدة وحاولت التمسك بالصخور الباردة التي تحيط بي وأنا أحاول الهبوط للأسفل ببطء، لكنني انزلت بسرعة ولم أستطع التمسك بالصخور فهويت لعدة أمتار للأسفل، حين استطعت الوقوف على قدمي من جديد نهضت على أرضية الكهف ولم أستطع تصديق بعيني ما رأيته على جدران الكهف من أعرق الرسومات التي رأيتهما في حياتي.....»

والكهف هي من أبرز مجالات الدراسات الخاصة لعلماء الأنثروبولوجيا، حيث ظلت أولى المظهر المأوى الدائم المعروفة للجنس البشري حين كانوا لا يزالون يعيشون على الصيد وجمع الثمار في فجر التاريخ المعروف، ويشير علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ إلى أن عدة مجموعات قد سكنت جبانة بعضها في الجنوب الغربي لفرنسا بالقرب من منطقة (Dordogne) حيث عثر علماء الأنثروبولوجيا على أكثر من 200 كهف يعود تاريخها لما قبل التاريخ، وحيث وجدت العديد من البقايا والأدلة التي تشير إلى هذه الفترة، ونظرا للأجواء المظلمة داخل هذه الكهوف فقد فتحت هذه الظروف غير العادية العديد من اللوحات الجدارية التي تحفل بها من البقاء بحالة سليمة ومدمشة كانت محل دراسات عديدة لعلماء الأنثروبولوجيا والتاريخ لإمالة الثأر عن الكثير من الاكتشافات المتعلقة بفترات بداية التاريخ الإنساني ومتعلقات الفن ونشأته في تلك الحقب بالذات، فاعتقاد هذا الكهف بالذات من قبل الصبية الأربعة أصبح بعد في علم الأنثروبولوجيا علامة فارقة مفضلية وبخاصة أنه في تاريخ بداية الفن في مجموعة كهوف (Lascaux) والتي يمتد طولها لأكثر من 100 متر توجد هناك أكثر من 1500 من



رسومات في مجموعة كهوف (Lascaux)



صورة تمثل عودة تاريخية لاثنين من الصبية الذين عثروا على الكهوف، ويظهران بوسط الصورة ويديان (Marcel Ravidat) و (Jacques Marsal).

الرسومات وأكثر من 600 لوحة تمثل مجموعات من الحيوانات منها الثور، ولم يعد المؤرخون ودارسو الفن أي مكان آخر يحوي هذه الكمية من الرسومات في تلك الفترة، ويعتقد الباحثون أنه لفترة تمتد لأكثر من 5000 عام تم استيطان هذه الكهوف وتم وضع الرسوم على الجدران مرة بعد مرة، وبالتبعية تم ترك هذا الكهف الهائل من الرسومات بما يشكّل متحفاً لما قبل التاريخ، وقد كانت بعض الرسومات في هذه الكهوف ضخمة وكبيرة وقد جدران القاعة الوسطى لجموعة هذه الرسومات كامل جدران القاعة الوسطى لجموعة الكهوف والمعروفة باسم «القاعة الرئيسية»، وهي رسومات لمجموعة من الثيران يصل حجم الثور إلى 5 إلى 6 أمتار طولاً، وقد قف علماء تاريخ الفن ومهارة أمام هذه الرسومات التي تم تنفيذها ببراعة ومهارة والتي فخرت الكثير من الأفراد إعجاباً وتحمياً، كما غيرت ولفترة طويلة النظرة الكلاسيكية للفن البدائي، فالفترة السائدة حتى بداية القرن التاسع عشر كانت أن الفن البشري قد تطور تدريجياً وعلى فترات تاريخية وزمنية طويلة جداً، لكن هذه الفرضية الخاطئة تحلقت بنسوة على جدران هذه الكهوف وتناثرت أشلاء تحث هذه الرسومات الرائعة، فالفرضيات التقليدية للفن لاعتدت بأن تطور الفن الإنساني ويمكن تشبيهه بتطور مراحل الرسم اليدوي لدى الطفل، حيث تتطور القدرات الإدراكية وحواسه مع قدراته العقلية مما يمكنه من التعبير والإبداع عما جوله، ومن هنا فقد كانت هذه النظريات الكلاسيكية تدعي، قبل اكتشاف هذه الكهوف، أن الإنسان البدائي لم يمتلك القدرات العقلية الكافية للتعبير عن العالم من حوله وتطوير القدرات الإبداعية اللازمة للتواصل مع العالم من حوله بالطرق المختلفة ومنها الكلام والرسومات والفن، وفي الحقيقة، حينما تم اكتشاف كهف (Altamira) في شمال إسبانيا في 1879م ذهبت بعض الفرضيات التي أن الرسومات التي يحتويها كانت مزورة نظراً لتورها وبعدها مما كان يتناقض مع النظريات الكلاسيكية التي ردها تماماً وبشكل مطلق الرسومات التي تعكها الجدران الرائعة التي تحتويها مجموعة كهوف (Lascaux) مما غير نظرة البشر للفن على الإطلاق ومنذ ذلك اللحظة التاريخية التي تم اكتشاف هذه الكهوف فيها مما يؤرخ لبدايات التفكير المنظم عند الجنس البشري، ومن هنا سجل هذا الكشف العلمي الأنثروبولوجي بداية قدرة الإنسان الأول على تسجيل أفكاره وبداية قدرته على التفكير الجمعي المنظم وبالتالي تطوير قدراته كحيوان ذكي قادر على التفكير وتسجيل أفكاره.

مصادر المقال:

برنجام وثاقبي عرضته البي بي سي عن ذات الموضوع عام 2008
«كتاب The History of Art - (Blitz) Paintings that changes the world» من Klaus Reichold. 2003. published by Preste

غزة

الطاهر بن جلون
ترجمة: عبد المنعم الشنتوف

لعل من بين الآثار السلبية للأزمة الاقتصادية العالمية أنها حملتنا على أن ننسى ليس فقط القضية الفلسطينية وإنما أيضاً المصير غير المحتمل إنساني الذي فرضته إسرائيل على سكان قطاع غزة بسبب إطلاق بعض الصواريخ على أراضيها، أطلق بعض المقاتلين الفلسطينيين صاروخين على إسرائيل في 26 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، فكان الرد العنابي الذي لا تتغير أساليبه. تحويل القطاع إلى سجن ينبغي للجميع أن يعاني داخله بل وأن يموت بسبب الأفعال المرتكبة من لدن مقاتلي حماس، يتم التعامل مع البشر كما لو أنهم بهائم من دون شفقة؛ بحيث أن الحصار الذي فرضته الحكومة الإسرائيلية يسبب المجاعة ويمنع المستوصفات القليلة من العمل بشكل طبيعي وتجعل من أي تحرك مستحيلاً. عرف 70 في المئة من قطاع غزة انقطاعاً متواصلاً للكهرباء، وتعلم بأن المستشفيات تحتاج إلى مولدات كهربائية لكي تتمكن من مواجهة الحالات المستعجلة.

تبرز الصور الأطفال وهم يقاتلون من طعام القطط والكلاب وأطباء عاجزين عن مزاولة مهنتهم وأمهات يزرحن كالجمرات تحت وطأة هذا العزل القاتل، وليست هذه أول مرة تلجأ فيها إسرائيل إلى هذا الأسلوب، وتعتمد إلى التجاهل المطبق للاحتجاجات الصادرة عن البرلمان الأوروبي كما حدث مثلاً في 24 تشرين الثاني (نوفمبر) أو تلك الصادرة عن المنظمات الإنسانية التي تناضل من أجل التمكن من إرسال المواد الغذائية أو الأدوية إلى ساكنة معزولة ولا صوت لها، وكما قال المفوض العام لمكتب الأمم المتحدة للشؤون اللاجئيين، فإن «غزة على وشك أن تصبح أول بلاد تفرض عليها حالة الفقر بكيفية مقصودة، ذلك البحرية الإسرائيلية تتجاهم بانتظام صيادي قطاع غزة الذين يحاولون العودة بالسلم إلى السكان. ومصر التي لها حدود مع هذا القطاع منعت في 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2008 مرور قافلة من المعارضين لسياستها والتي كانت تنقل الأدوات ومعدات طبية إلى الفلسطينيين، هذا البلد.

«الشقيق» أغلق حدوده عند معبر رفح لكي يمنع تسرب الرجال والنساء المهجرين بالجماعة، وكان على السكان أن تقوم بحفر أنفاق لكي تتمكن من نقل المواد الغذائية والأدوية، وبهذا الصنيع، وجد مليون ونصف مليون فلسطيني ذواتهم مضطرين إلى العيش في كفاف تزداد حدته يوماً تلو الآخر.

تشكل هذه السياسة شكلاً من أشكال الاغتصاب الجماعي، والسؤال الذي يطرح في هذا الشأن هو: ما الذي تترقبه إسرائيل؟ إن يقبل السكان المهانون والوجوع ضد حركة حماس؟ إن هذا الأمر مستحيل؛ لأن الأمر يتعلق بحزب وصل إلى السلطة بشكل ديمقراطي، ومع افتراض عدم رضائنا عن طريقته في مقاومة الاحتلال، فإنه يبقى في المقام الأول والأخير حركة مقاومة. ومحمود عباس الذي يدين بدوره سياسة هذا الحزب لا يملك إلا أن يقر ضد الطريقة المهينة التي تعامل بها إسرائيل جزءاً من شعبه. كيف يمكن التفاوض مع دولة تمارس الإحتزاز بواسطة تدمير السكان وتفجير المنازل لمجرد الاشتباه في احتضان عائلة مختار في حماس؟ ما الذي تعنيه المفاوضات في ظل ظروف من هذا القبيل؛ إلى متى تظل المشكلة الفلسطينية مرهونة بالإرادة الطبية لحفنة من السياسة الأمريكيةين والإسرائيليين لا يتقدمون في التضحية بالحقوق

وتزواج الفن والأدب ومقرعات كل منهما كانت السمة التي وضعت المجتمعات البشرية منذ بداية القارة على التفكير المنطقي المنظم إلى اليوم الحاضر، فالفن كان صنو الصلاب ملازماً له ولا عليه تارة ومستقراً بين ثناياها تارة أخرى، كما كان يعكس في أكثر من مظهر ويخجل في أكثر من إبداع، فتجد صنوف الفن، ومنه التطبيقية كالعمارة مثلاً، مما يمكن إقرانه وتبع معالنه في الثقافة والأدب والفنون والحكف وسلاسل وفترات الكهف، فقد عكست العمارة مناحي الثقافة والحضارة للأمم والشعوب والثقافات المتباينة، مما عدا محل دراسات تتبع أوجه التقدم البشري وتحديد خصائص الفترات التاريخية ولامح التباينات الجيو-سياسية والاجتماعية الإنسانية، هذه النقطة من علوم الأثرية والأنثروبولوجيا البشرية التي استخدمت الفن كدلالة وواسطة تاريخية مهمة على وجود آليات التفكير المنظم عند الإنسان، تطورت لاحقاً، ويشكل حسيي علوم إلى سوسيوولوجيا بشرية تعكست في ثقافات وحضارات وشعوب شتى زخر بها التاريخ البشري.

تتشكل هذه السياسة شكلاً من أشكال الاغتصاب الجماعي، والسؤال الذي يطرح في هذا الشأن هو: ما الذي تترقبه إسرائيل؟ إن يقبل السكان المهانون والوجوع ضد حركة حماس؟ إن هذا الأمر مستحيل؛ لأن الأمر يتعلق بحزب وصل إلى السلطة بشكل ديمقراطي، ومع افتراض عدم رضائنا عن طريقته في مقاومة الاحتلال، فإنه يبقى في المقام الأول والأخير حركة مقاومة. ومحمود عباس الذي يدين بدوره سياسة هذا الحزب لا يملك إلا أن يقر ضد الطريقة المهينة التي تعامل بها إسرائيل جزءاً من شعبه. كيف يمكن التفاوض مع دولة تمارس الإحتزاز بواسطة تدمير السكان وتفجير المنازل لمجرد الاشتباه في احتضان عائلة مختار في حماس؟ ما الذي تعنيه المفاوضات في ظل ظروف من هذا القبيل؛ إلى متى تظل المشكلة الفلسطينية مرهونة بالإرادة الطبية لحفنة من السياسة الأمريكيةين والإسرائيليين لا يتقدمون في التضحية بالحقوق

وعلى مستوى أكثر عمومية، ثمة بعض القرائن القادمة من واشنطن تسمح بقليل من التفاؤل، فقد اختار أوباما برنت سكوكورت مستشاراً له، كان هذا الرجل الذي شغل منصب رئيس مجلس الأمن القومي إبان ولاية بوش الأب قد كتب مقالاً قبل أسبوع من الاجتياح الأمريكي للعراق أدان فيه هذه المغامرة الجنونية. وقد صرح مؤخرًا في برنامج فريد زكرياء على قناة سي إن إن أن أولى أولويات الرئيس أوباما تتمثل في منح دولة للفلسطينيين؛ لأن ظلماً حاق بهم وينبغي رفعه.

تشير كل القرائن إلى التزام شامل للولايات المتحدة من أجل الخروج من المستنقع العراقي والعمل على تحقيق السلام بين إسرائيل وفلسطين بشراكة مع دول المنطقة وخصوصاً سورية وبشكل غير مباشر مع إيران، احتياج إسرائيل إلى السلام فيما يحتاج الفلسطينيون إلى الأمن، وقد تبع الشعب من هذا الحكم الهائل من الحقد والتمدير والأمل الخائبة. وإذا كان كثير من الإسرائيليين لم يحتفلوا بجزء أوباما، فلاهم بتراتبون فعلاً في أن هذا الرجل الساعى إلى التغيير والتجديد هو في الآن نفسه رئيس مأخوذ بالعدالة، وكما قال مستشاره الجديد، ينبغي أن نتوخى العدل مع الفلسطينيين؛ لأن ذلك هو الذي سوف يضمن السلام الذي يتوق إليه الإسرائيليين.

الفلسطينيون والإسرائيليون جنباً إلى جنب في دولتين ديمقراطيتين تحترمان بعضهما بعضاً. إنه حلم، لكن في انتظار بداية سنة 2009، يعاني الرجال والنساء وطأة احتلال لا يمكن في العمق إلا أن يسم مشاعرهم بالتحرف ويؤجج الحقد بين الشعبين.

إن لائحة مشاريع السلام منذ ثلاثة عقود طويلة، بيد أنه ليس ثمة منها من أفضى إلى نتائج ملموسة. تشرين الأول (أكتوبر) 1981: مشروع الملك فهد بن عبد العزيز، أيلول (سبتمبر) 1982: مشروع المطالب ريفان، نيسان (أبريل) 1987: مخطط لندن، 1991: مشروع اسلو، أيلول (سبتمبر) 2000: مشروع كلينتون/باراك، مفاوضات أهدا عام 2001، مبادرة جنيف «شعبان/دولتان» الموقعة في الثالث من كانون الأول (ديسمبر) 2003، الخ. إننا نلاحظ على العكس من ذلك أن النزاع الوطني الفلسطيني لا يني عن التعليل والتشتت والاشتمال على عدد وفير من الحدود، وهو تراب مفتت يستحيل تجميعه وتحويله إلى دولة يمكن العيش فيها، وقد سنست وسائل الإعلام والعالم من هذا الوضع، صحیح أيضاً أن الفرقة الحاصلة بين الفلسطينيين وصراعاتهم الداخلية ونزاعاتهم تخدم مصالح المحتل، وهدمهم الأكثر عوزاً ممن لم يروا من فلسطين إلا مخيمات اللاجئيين من يدفع الضن غالباً.

لقد توجه محمود عباس مباشرة إلى باراك أوباما في 22 تشرين الثاني (نوفمبر) الفارط مطالباً إياه بتطبيق المبادرة العربية التي صاغها الملك عبد الله، انسحاب إسرائيل من قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية عداوة على تسوية قضية اللاجئيين. وفي المقابل، تلزم سبع وخمسون دولة عربية وإسلامية بالاعتراف بدولة إسرائيل وتطبيق العلاقات معها، وكان هذا المشروع قد نشر في شكل صفحات إخبارية في العديد من الصحف، وكان أوباما قد ألقى خلال حملته الانتخابية خطاباً انتقد فيه كيفية صرامة إسرائيل وقبضتها القوية على القدس. يحتاج أوباما إلى كثير من الخيال والعزم لكي يصوغ مشروعاً حقيقياً للسلام وليس قطع مع محمود عباس الذي ينفق وقته في التفاوض مع إسرائيل دون أن يحصل على شيء. التباحث مع كل الأطراف والجمع بينها في كلية واحدة تدعى فلسطين هو لعمرى البداية الحقيقية للحل. وشأن كل الشعوب التي عرفت تحديات ديمقراطية، فإن الشعب الفلسطيني يتوقر على رجال ينتمون إلى اليسار وأخرى إلى اليمين وأناس متدينين وأخرين علمانيين، وثة المسلمون والمسيحيون وأيضاً من لا يحتفظ بأية صلة بأي دين.

فالشعب ليس عليه محكمة الإغلاق لها طريقة واحدة في التفكير والفعل، وحين يكون الأمر كذلك، فإننا نكون أمام نظام شمولي يحكمه حزب واحد، لقد تشكل الفلسطينيون بواسطة التاريخ والحروب المتعددة ووفرة من أشكال الاستعمار والإخفاقات والخداع والأعمال غير المسبوقة جيداً والحياتيات أيضاً. لا توجد عائلة فلسطينية ليس فيها ابن أو أب مات أو اغتيل في غمرة هذا الصراع، والمقابر الفلسطينية تعص بالشباب المغتال والمتألمين الذين هموا حياتهم فداءً لقضية وطنهم، ليس من الشذوذ في شيء أن تقاوم احتلالاً، بل العكس هو الصحيح، وبصرف النظر عن طبيعة الشعب، فإن التاريخ يعلمنا أن وحدها المقاومة من تستشرق في النهاية الغاية المنطة في التحرير، والفلسطينيون ينشدون العدالة، وليس حشرهم في مخيم كبير لا يصل إليه شيء.

تشير كل القرائن إلى التزام شامل للولايات المتحدة من أجل الخروج من المستنقع العراقي والعمل على تحقيق السلام بين إسرائيل وفلسطين بشراكة مع دول المنطقة وخصوصاً سورية وبشكل غير مباشر مع إيران، احتياج إسرائيل إلى السلام فيما يحتاج الفلسطينيون إلى الأمن، وقد تبع الشعب من هذا الحكم الهائل من الحقد والتمدير والأمل الخائبة. وإذا كان كثير من الإسرائيليين لم يحتفلوا بجزء أوباما، فلاهم بتراتبون فعلاً في أن هذا الرجل الساعى إلى التغيير والتجديد هو في الآن نفسه رئيس مأخوذ بالعدالة، وكما قال مستشاره الجديد، ينبغي أن نتوخى العدل مع الفلسطينيين؛ لأن ذلك هو الذي سوف يضمن السلام الذي يتوق إليه الإسرائيليين.



سيدتان فلسطينيتان أمام خيمة نصبت قبالة منزلهم المدمر في جباليا

إعلان جوائز النمر للأفلام القصيرة للمهرجان روتردام السينمائي الدولي؛ بريطانيا تنتزع جائزتين والثالثة تذهب إلى روسيا

لهذا العام من الكتابة والمخرجة المتألبة B لوس جونج جان فوي، وماريا باليير، معدة بعض البرامج الفنية والثقافية لشركة التلفزة الإسبانية «TVE» والصحافي والفنان البريطاني جورج كلاك، قالت لجنة التحكيم عن فيلم «موسيقى ضرورية» بأنه بناء متعدد الطبقات، وفحص فريد لذاكرة المجتمع والتاريخ الاجتماعي، يحثي الفيلم أنبياء وموسيقياً بالسينما مكملة رؤية وثقافة التاريخ الشفهي.

وبسبب التصريح المعقد للمصادر ولإبلاغه التنفيذ ولحوسيقته وتعاونه فقد قررت لجنة التحكيم للأفلام القصيرة أن تسند الجائزة إلى فيلم «موسيقى ضرورية» لبياتريس جيبسون، أما فيلم «ياس» للمخرجين الروسيين غالينا مزينيكوفا وسيرجي بروفوروف فقد وصفت لجنة التحكيم «بافتقار ملحوظ وحركة وتكوينات انيقة أنجز هذا العمل قيمة لحماية بواسطة أدوات بسيطة»

متواضعة، الفاعية هي استراتيجية باقية، فيلم قاس لعالم قاس، وبسبب أناقته الشكلانية وحركته وعبأته المستخفة بالذات فقد أسندت إليه جائزة النمر للأفلام القصيرة، أما الفيلم الثالث والأخير فهو «برناديت» للمخرج البريطاني دنكان كامبل فقد وصف بأنه «شكل رائع واستثنائي، وبسبب وقد وُجد لشخصيائنا، وبسبب شكله الاستثنائي، ورفسه للصور والخصائص البلاغية فقد مُنح هذا الفيلم جائزة النمر للأفلام القصيرة»، كما أعلن المهرجان عن جائزة «نيو أزيارن» والتي تعرض أفلامها المشاركة على الإنترنت.

وهذه الجائزة هي خلاصة التعاون بين مهرجان روتردام السينمائي الأصلي وشركة التلفزة الهولندية NPS، حيث يدعو المهرجان مخرجي الأفلام القصيرة من مختلف أنحاء العالم لأن يسلو أفلامهم القصيرة بغية الاشتراك في هذه المسابقة العالمية حيث تختار اللجنة المنتخبة خمسة أفلام كل شهر، بينما تختار الموسومة.